ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانني كلا فبين ان
ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني ولكن
الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه
معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات
الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام
في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق
التقليد والتصديق فهو ان يومن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله عليه السلام وقد قال ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى
فتحنا عليهم ابواب كل شي حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله تعالى سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد
في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن امن تخلص من الغرور فان منشا هذا الغرور الجهل بالله
تعالى وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك
الارض كيف احسن اليهم ابتدا ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه فقال تعالى ولا
يامن مكر الله الاية وقال تعالى ومكروا ومكر الله الاية وقال تعالى والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا القوم الخاسرون
واكيد كيدا الاية فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب
السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذر مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله
تعالى مع تحذيره استدراجه اولى فاذا من امن مكر الله تعالى فهو مغتر ومنشا هذا الغرور انه استدل
بنعم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق
الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا
هو حد الغرور المثال **الثالث** هو غرور العصاة من المومنين بالله تعالى بقولهم ان الله كريم وانا
نرجوا عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسينهم ذلك بتسميتهم اغترارهم رجاء وظنهم ان
الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله تعالى واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد
في بحار رحمته وانا موحدون ومومنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجاء بعضهم التمسك
بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابايهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم
انهم اكرم على الله تعالى من ابايهم اذ اباوهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خايفين وهم مع الفجور امنون
وذلك نهاية الاغترار بالله عز وجل وقياس ابليس للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده وان الله تبارك

وتعالى قد احب اباكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا عليه السلام اراد ان يستصحب
ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقال تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابرهيم عليه السلام
استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن في ان يزور قبر امه وان يستغفر لها فاذن له في
الزيارة ولم يوذن له في الاستغفار فجلس عليه السلام يبكي على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا
اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما لا يبغض الاب المطيع لو كان الحب يسري من الاب
الى الولد لكان يسري البغض ايضا بل الحق لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه
يشبع باكل ابيه او يروى بشرب ابيه ويصير عالما بعلم ابيه ويصل الى الكعبة برؤية مشي ابيه فالتقوى
فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيا وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل
الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فاذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب
فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله تعالى كريم وانا نرجوا مغفرته ورحمته فما هذا الكلام صحيح
مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا
حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه
فسماه رجا حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجا فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله اوليك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء بهم يليق وتخصيصه لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على
الاعمال فقال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى انما توفون اجوركم يوم القيمة افترى ان من
استوجر على اصلاح اواني وشرط له اجرة عليها وكان المشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف
بل يزيد فجا الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افتراه
العقلا في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجا والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجوا
الله تعالى ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيا طلبه ومن خاف
شيا هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا نرجو الله
فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه وكما ان الذي يرجو
في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه وكذلك من رجا رحمة الله
وهو لم يومن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطي وانزل بقي
مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله تعالى في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى ان يتم
فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات مترددا بين الخوف والرجا يخاف ان لا يقبل منه
وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه

Copyright © King Saud University